هوامش

تمتاز تضاريس إقليم كردستان العراق بجبالها الشاهقة المغطاة بالثلوج عدة أشهر في السنة، مما يشجع كثيرين في عموم العراق على الانضمام إلى فرق التسلق والتزلج

تمتاز تضاريس إقليم كردستان العراق بجبالها الشاهقة المغطاة بالثلوج عدة أشهر في السنة (Getty)

جبال كردستان

قبلة عشاق رياضات التسلق والتزلج

بغداد ـ **محمد الباسم**

يخرج شاديار علي من منزله في السليمانية بإقليم كردستان العراق كل يوم جمعة للتجمع في حديقة «آزادي» عند الساعة الخامسة فجراً، والانطلاق بعد ذلك إلى المناطق الجبلية، ولا سيما القريبة من الحدود مع إيران، للتنزه والمشي والاستمتاع بالمناظر الطبيعية بعيداً عن صخب المدن، إلا أن هذه الرياضة، كما يصفها شاديار، لا تخلو من المخاطر. يقول علي (30عاماً) لـ«العربي الجديد»، إنّ «الرحلات التي تنطلق إلى المناطق الجبلية والوديان في مدينة السليمانية، ينظمها شبّان من المحترفين والهواة، ولديهم ولع بالتعرف على الطبيعة والمشي في المنحدرات وتسلق الأماكن المرتفعة، وهو جزء من اتحاد متسلقي كردستان الذي يسمح لهم بممارسة هذه الرياضة في عموم مناطق إقليم كردستان دون تعرض أمني». ويشير إلى أن «أصل هذه الهواية بطبيعة الحال ليس تسلق الجبال، بل التنزه في المناطق الجبلية، لذلك فإن اسمها باللغة الإنجليزية hiking، ومعظم المناطق التي نصل إليها، هي مناطق ذات طبيعة ساحرة وتحتوي على تضاريس جميلة، وبالتالي ليست جبالاً فحسب»، مبيناً أن «هواة التنزه، يسيرون في جموعات لمسافة تتراوح بين 5 إلى 15 كم كحد أدنى حسب اللياقة البدنية للمشاركين». وبشأن المناطق التي تتنزه فيها المجموعات الشبابية، يلفت شاديار علي إلى أن «معظم الأماكن هي عبارة عن حقول ووديان وبساتين وجبال، مثل «هورمان» ودربندخان وحلبجة ودوكان وجبال تابعة لحلبجة، وقرداغ، وهي أماكن متعددة. كما أن مجموعات التنزه، لا تحتوي على شباب من إقليم كردستان، بل يُشارك فيها شبّان من محافظات العراق الوسطى والجنوبية، إضافة إلى أجانب يعملون بشركات في مدينة السليمانية».

وتمتاز تضاريس إقليم كردستان العراق بجبالها الشاهقة المغطاة بالثلوج عدة أشهر في السنة، مما يشجع كثيرين في عموم العراق على الانضمام إلى فرق التسلق والتزلج، فيما تكثر في المنطقة العديد من السلاسل الجبلية التي يبلغ ارتفاعها آلاف الأمتار عن مستوى سطح البحر. ويؤكّد أن «المشي في المناطق الجبلية، يحتاج إلى معدات خاصة، منها الأحذية والملابس، إضافة إلى النظارات وعصا التنزه الخاصة بهذه الرياضة، إضافة إلى مياه الشرب وعدّة خاصة بالأكل وطبخه، ناهيك عن أهمية وجود جهاز لاسلكي من أجل التواصل، لأن في تلك المناطق لا تتوفر خدمة الإنترنت كما تغيب شبكات الاتصال».

ويروي شاديار علي كيف أنه ضاع في واحدة من جولاته في جبل «كوره كاجاو» في مدينة السليمانية، حيث كان الجبل والوادي الذي يقع على محيطه مغطيان بالثلج، وقد سقط في حفرة مغطاة بالثلج، الأمر الذي أدى إلى تأخره عن الفريق الجوّال معه، ولكن الملابس الخاصة التي كان يرتديها الفريق جعلته يتعرف إليهم من بعيد، ومن ثم اللحاق بهم، حيث يرتدي المتسلقون ملابس ذات ألوان فاقعة مثل الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر. ولم يكن لدى شاديار جهاز تواصل لاسلكي، ما اضطره عقب هذا الموقف إلى شراء واحدٍ كي يستطيع التواصل مع فريقه عبر ترددات معينة.

ويشير شاديار إلى أن «الهواية ليست جديدة في إقليم كردستان، بل إنها بدأت بالانتشار بشكل واسع بعد عام 2003، وهناك أكثر من عشر مجموعات في السليمانية، وبعضها يخرج بشكل يومي، وأخرى تخرج بشكل أسبوعي، معظم القائمين على هذه الهواية لا يهدفون إلى الربح المادي، ولذلك فإن المبالغ التي تحصل عليها إدارة المجموعات رمزية ولا تتجاوز 8 دولارات أميركية، وهي تعتبر أجور نقل فقط».

ومن الصعوبات التي تواجه محبي التسلق والتنزه في المناطق الجبلية، هي «شروط السلامة التي تمثل أهمية كبيرة، ونقطة ضعف في الوقت نفسه لدى هذه المجموعات، ولذلك لا ينبغي اصطحاب الأطفال، إضافة إلى أن بعض المناطق تحتوي على ألغام، مثل «قضاء بنجوين» الحدودي مع إيران، لذلك نستعين غالباً بأدلة من تلك المناطق لعدم الاقتراب من المساحات الخطرة»، وفقاً لعلي.

وشهدت جبال كردستان العراق العديد من الحروب في منتصف القرن الماضي وحتى نهايته، من بينها الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثمانية أعوام، إضافة إلى الصراع بين الأحزاب الكردية والمعارضين ضد الحكومة العراقية خلال فترة حكم صدام حسين»، التي انتهت من الصراع المسلح عام 1991. ويكمل أن «التجول في تلك المناطق والتنزه فيها، هو أمر رائع، كونه يمثل رحلة استكشافية، إضافة إلى الشعور بالأمان الذي تتركه الطبيعة النظيفة في نفوسنا بعيداً عن ضوضاء المدن، ناهيك عن الراحة النفسية والرياضة، وخلال الجولات نتعرف على أنواع كثيرة من الحيوانات والزواحف، والأشجار المتنوعة والغريبة».

باختصار

الرحلات التي تنطلق إلى المناطق الجبلية والوديان في مدينة السليمانية، ينظمها شبّان من المحترفين والهواة

■■■

معظم القائمين على هذه الهواية لا يهدفون إلى الربح المادي، ولذلك فإن المبالغ التي تحصل عليها إدارة المجموعات رمزية ولا تتجاوز 8 دولارات أميركية

■■■

شهدت جبال كردستان العراق العديد من الحروب في منتصف القرن الماضي وحتى نهايته

وأخيراً

«دلشاد» تنعش ذاكرة مسقط

محمود الرحبي

في إصدارها الروائي الثاني «دلشاد» (دار تكوين، الكويت، 2021)، وعبر 480 صفحةً، ترسم الكاتبة العُمانية بشرى خلفان بدايات التحوّل والتشكل الاجتماعي للعاصمة العمانية مسقط ذات الواجهة البحرية. تضعنا أمام طفولة مدينة تُعرض على لسان رواةٍ تتداول التعبير عن ظروفها وحياتها بصيغة اعترافات ومونولوغات، ينتمي جميعها إلى ما سمته الكاتبة زمن الجوع، حيث تبدأ الرواية بشخصية «دلشاد»، وتنتهي بحفيدته «فريدة». ينتمي دلشاد الذي تحمل الرواية اسمه إلى الشارع، تتبناه عائلة تعيش في خيمة وتمنحه اسما، لا تلبث الكوليرا أن تفتك بأفرادها، لم يبق منهم سوى الأم حليمة، وابنها عيسى الذي سيصبح أخا لدلشاد. تسرد الرواية فترة قديمة من حياة مسقط، غالبا تنتمي إلى النصف الأول من القرن العشرين، حين كانت أحزمة الفقر تزنّر خاصرة المدينة والجوع والأمراض البدائية تفتك بأهلها بلا هوادة. يحمل دلشاد، إذن، على ظهره عبء تحريك أحداث الرواية التي انطلقت منه، ولا تلبث في كل مرة تعود إليه، سواء عبر رحلاته العبثية التي يتقاذفها القدر بين مسقط والهند، أو من خلال حياة ابنته مريم التي فضّل، اتقاءً للجوع الذي صورته الرواية بكل تجلياته، أن يتخلّى عن تربيتها، ويتبرّع بها لأحد الأثرياء، حيث ستنضم إلى فريق الخدم، فتشقّ الطفلة طريقها تتعلم من الخدم أسرار الطبخ والاعتناء بالمنزل الكبير. ونظرا إلى ما تتّصف به من جمال وروح ضاحكة، سيعجب بها صاحب البيت، عبد اللطيف لوماه، التاجر العبثي الذي انساق لغرائزه، فعرّض عائلته بعد موته إلى بيع البيت تسديدا للديون، فما إن تزوج من خادمته مريم دلشاد، حتى انقلبت حياة مريم لتصعد من قاع المجتمع وهامشه إلى سيدة للبيت الكبير، ولكن يبدو أنه تحوّل خادع ومؤقت، فحين يموت زوجها فجأة، تكتشف أنه استدان مبلغا كبيرا من التجار «البانيان»، لتجد نفسها وابنتها فريسة ضياع وتشرّد وهروب، حيث أرادت أخته فردوس أن تأخذ ابنة أخيها منها، وتضمها إلى أبنائها وتتركها وحيدة، فتعود الأم الهاربة مع ابنتها إلى سيرتها الأولى، حين كانت تعيش في الخيام الهشة المعرضة للأمراض والحرائق والجوع.

قد يكون هناك زمن طويل قضاه بطل الرواية دلشاد في الهند، ليغيب عن أحداث الرواية ما يزيد عن مائة صفحة، منذ تاه عن القطار، ولا ينكشف للقارئ سوى النزر القليل من حياته هناك، ما يؤكّد أن البطل الحقيقي للرواية هو مدينة مسقط، ولكن هذا، ربما، جزء من لعبة الرواية التي تعدنا كاتبتها في الصفحة الأخيرة بجزءٍ ثان، ستنكشف فيه تفاصيل مؤجّلة.

تستنطق «دلشاد» صورا قديمة لمسقط، كنا نراها باللونين الأبيض والأسود صامتة، لا نعرف الكثير عن حياة شخوصها وجماداتها. أنطقتها الرواية عبر لغة شائقة، من خلال الألسنة المتنوعة لشخصياتها. كما تتميز بعبورها على مختلف تفاصيل الحياة العُمانية القديمة، وخصوصا في ما يتعلق بعالم المرأة من مأكولات وملبوسات، إلى جانب تسليط الضوء على التنوع الثقافي واللغوي الذي يتميز به المجتمع العُماني؛ فدلشاد الذي يعني اسمه في لهجة البلوش القلب الفرحان يشكّل بؤرة السرد والمحرّك الرئيس لأحداث الرواية، مع ابنته مريم التي كأنما تتناوب، هي وأبوها، على توجيه مسارات أحداث الرواية التي حاولت كذلك استثمار كل القدرات الممكنة لتوثيق الحياة الغابرة لمسقط، وذلك بسبب التطور الذي شهدته العاصمة، من تنقل ديموغرافي وقفزات عمرانية. وإلى جانب التوثيق الاجتماعي والعمراني، هناك كذلك توثيق لطبيعة تفكير الدولة في ذلك الوقت، وذكر أسماء حقيقية تكشف مدى تدخل الإنكليز، ومحاولات الحاكم في الحدّ من نفوذهم والاستفادة من قوتهم، في الوقت نفسه، من أجل القضاء على كل ما من شأنه أن يهدّد وحدة الوطن واستقرار الحكم.

> طفولة مدينة تُعرض على لسان رواة يتداولون التعبير عن ظروفها وحياتها بصيغة اعترافات ومونولوغات

وفي متابعة مسيرة الكاتبة بشرى خلفان، وانتقالها من القصة التي تركت فيها أكثر من مجموعة، إلى الرواية حيث أصدرت من قبل «الباغ» التي تسرد جانبا من ذاكرة منسية، نجد أن في هذه الرواية أيضا نقلة أخرى في مشوارها الأدبي.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**